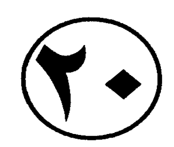
قصص الأنبياء للأطفال



زَكَرِيا وَيَحْيَى

(عليهما السلام)

بقلم/ ناصر عبد الفتاح

الناشر
دار التقوى
للنشر والتوزيع

الكتاب:
قصص الأنبياء للأطفال
(زكريا ويحيى) عليهما السلام
المؤلف:
ناصر عبد الفتاح
الناشر:
دار
التقـوى
للنشر والتوزيع
٨ شارع زكي عبد العاطي
(من شارع عمر بن الخطاب)
عرب جسر السويس ـ القاهرة.
ت: ٢٩٨٩٩٤٣
المدير المسئول/ محاسب
عبد الناصر إبراهيم إمام

الطبعة الأولى
١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٥م
الطبعة الثانية
١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٦م
رقم الإيداع: ١٧١٧٦ / ٢٠٠٤
I. S. B. N. 977-5840-25-2
كمبيوتر:
آرمس ـ ت: ٧٩٦٤٤٠٤

رَحَلَ نَبِيُّ اللهِ سليمانُ عَنِ الدنْيَا ، فتفرَّقت الطَّيْرُ والجنُّ ، وارْتدَّ بَنُو إسْرائيلَ عَنِ دينِ اللهِ ، وامْتدَّتْ أيْديهمْ إلى التَّوْراةِ بالتَّحْريفِ ، فَحذَفُوا منْهَا نُصُوصًا ، وأَضَافُوا إلَيْهَا مَا يُوافِقُ أهْواءَهُمْ.

وتَجرَّأ الْقَومُ فَآذَوْا الأنْبياءَ الذينَ أُرْسِلُوا إليهمْ ، وقَتَلُوا كَثيراً منْهُمْ. أوْحَى اللهُ تعَالَى إلى عَبْدِهِ زكَريَّا ، وكَلَّفهُ بدَعْوةِ بَنى إسْرائيلَ ورَدِّهِمْ إلَى الْحَقِّ.

توَجَّهَ النَّبِيُّ إلى قَوْمِهِ ، وبَلَّغَهُمْ رسَالَةَ ربِّهِ ، فَوَجَدَ آذاناً لا تَسْمَعُ وعُقُولاً لا تَفْهَمُ ، وقُلُوبًا قَاسِيَةً.

أعْرَضَ الْقَوْمُ عَنْ نَبِيِّ اللهِ وتَوَعَّدُوهُ ، ولَمْ يُؤْمنْ بهِ سِوَى عَددٍ قَليلٍ.

هَيَّأ زَكَريَّا - عَلَيْهِ السلامُ - محْرَابًا للصَّلاَةِ فى بَيْتِ الْمَقدسِ ، واجْتَهدَ فى العِبَادةِ فَأَكْثَرَ مِنَ الصَّلاَةِ والصِّيَامِ ، وأَخذَ يُلْقِى دُرُوسَهُ فِى المسْجِدِ ، ويُبَيِّنُ للمُؤْمنينَ أُمُورَ دِينِهِمْ.

ظَلَّ النَّبِيُّ يَدْعُو قَوْمَهُ دُونَ يَأْس حتَّى كَبِرَتْ سِنُّهُ ، وَوَهَنَ عَظْمُهُ وَابْيَضَّ شَعْرُهُ ، وَخَشِي أَنْ يَرْتَدَّ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ بَعْدِهِ ، وَيَزْدَادَ الْعُصَاةُ تَمَرُّدًا ، فَتَمَنَّى أَنْ يَهَبَهُ اللهُ وَلَدًا صَالِحًا يَخْلُفُهُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَيَدْعُوهُمْ إِلَى الإِيمَانِ ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَى الحَقِّ.

وَبَيْنَمَا النبيُّ يُسَبِّحُ رَبَّهُ إِذْ أَقْبَلَتْ زَوْجَتُهُ فَرِحَةً تُبَشِّرُهُ بِأَنَّ أُخْتَهَا زَوْجَةَ عِمْرَانَ أَنْجَبَتْ طِفْلَةً رَائِعَةَ الحُسْنِ ، وَكَانَتْ زَوْجَةُ عِمْرَانَ تَتَمَنَّى أَنْ يَرْزُقَهَا اللهُ وَلَدًا صَالِحًا ، يَخْلُفُ أَبَاهُ عِمْرَانَ إِمَامَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الصَّلَاةِ بِهِمْ.

وَازْدَادَتْ رَغْبَةُ الزَّوْجَةِ حِينَ رَأَتْ طَائِرًا يُطْعِمُ صَغِيرَهُ فَدَعَتْ رَبَّهَا ، وَتَوَسَّلَتْ إِلَيْهِ أَنْ يُحَقِّقَ رَجَاءَهَا واستجَابَ اللهُ دُعَاءَ السَّيِّدَةِ فَأَصَابَهَا الحَمْلُ ، وَتَحَرَّكَ الجَنِينُ فِي بَطْنِهَا ، فَنَذَرَتْ للهِ أَنْ تَهَبَ وَلَدَهَا لِخِدْمَةِ بَيْتِ المَقْدِسِ وَالتَّعَبُّدِ فِيهِ ، فَقَالَتْ :

﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [آل عمران : الآية ٣٥]

وَلَمْ تَكْتَمِلْ فَرْحَةُ المرْأةِ ، إذْ رَحَلَ زَوْجُهَا عَنِ الدنْيَا قَبْلَ أنْ يرَى وَليدَهُ ، انْقَضَتْ شُهُورُ الحَمْلِ ، وَوَضَعَتِ الأُمُّ أُنْثَى فَاشْتَدَّتْ بِهَا الحَيْرَةُ وَهَمَسَتْ :

رَبَّاهُ . . كَيْفَ أَفِي بِنَذْرِي ، وَقَدْ أَنْجَبْتُ أُنْثَى ؟

سَيْطَرَ الْقَلَقُ وَالهَمُّ عَلَى الأُمِّ ، لأنَّ خِدْمَةَ بَيْتِ المقْدسِ قَاصِرَةٌ عَلَى الذُّكُورِ فَقَطْ دُونَ الإنَاثِ ، فَلَجَأَتْ إلَى رَبِّهَا وَفِي قَلْبِهَا أَسًى وَحُزْنٌ شَدِيدٌ ، خَشْيَةَ أَنْ يَرْفُضَ اللهُ نَذْرَهَا ، وَقَالَتْ :

﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [آل عمران : الآية ٣٦]

وَكَانَتْ مُفَاجَأَةً عَظِيمَةً لِلأُمِّ حِينَ تَقَبَّلَ اللهُ ابْنَتَهَا وَرَضِيَ عَنْهَا ، وَفَضَّلَهَا عَلَى نِسَاءِ قَوْمِهَا .

* * *

حَمَلَتِ الأُمُّ ابْنَتَهَا مَرْيَمَ ، وَقَصَدَتْ بَيْتَ المَقْدِسِ ، فَأَوْدَعَتْهَا مَعَ عُلَمَاءِ بَنِى إِسْرَائِيلَ ، وانْصَرَفَتْ عَائِدَةً إِلَى بَيْتِهَا مُرْتَاحَةً ، لأَنَّهَا وَفَتْ بِنَذْرِهَا .

حَمَلَ زَكَرِيَّا الصَّغِيرَةَ مَرْيَمَ ، وَأَرَادَ أَنْ يُهَيِّئَ لَهَا مَكَانًا فِى المَسْجِدِ كَىْ يَرْعَاهَا ، لَكِنَّ العُلَمَاءَ رَفَضُوا أَنْ يَسْتَأْثِرَ زَكَرِيَّا بِابْنَةِ إِمَامِهِمْ عِمْرَانَ ، وَأَرَادَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَنْ يَتَوَلَّى رِعَايَتَهَا .

صَاحَ زَكَرِيَّا : أَنَا أَوْلَى بِمَرْيَمَ لأَنَّنِى زَوْجُ خَالَتِهَا .

ثَارَ العُلَمَاءُ ، وَاشْتَدَّ النِّقَاشُ بَيْنَهُمْ ، وَأَخِيرًا اتَّفَقُوا عَلَى إِجْرَاءِ قُرْعَةٍ لاخْتِيَارِ كَافِلِ مَرْيَمَ ابْنَةِ عِمْرَانَ .

أَحْضَرَ القَوْمُ أَقْلامًا مِنَ الخَشَبِ ، وَنَقَشَ كُلُّ عَالِمٍ اسْمَهُ عَلَى قَلَمٍ ، ثُمَّ وَضَعُوهَا فِى إِنَاءٍ ، وَأَمَرُوا غُلامًا صَغِيرًا أَنْ يَخْتَارَ قَلَمًا وَاحِدًا .

أَمْسَكَ الغُلامُ بِأَحَدِ الأَقْلامِ وَرَفَعَهُ عَالِيًا ، فَإِذَا بِهِ قَلَمُ زَكَرِيَّا-

عَلَيْـهِ السَّـلامُ - اعْـتَـرَضَ الْعُلَمَـاءُ وَقَـرَّرُوا إعَـادَةَ الْقُـرْعَـةِ عَلى أنْ يُلْقُـوا أقْلامَـهُمْ فِى النَّهْـرِ ، فَـمَنْ سَـارَ قَلَـمُـهُ عَكْـسَ تَيَّـارِ المَاءِ فَـازَ بالْقُرْعَـةِ.

وَألْقَى الْعُلَمَاءُ بِأقْلامِهِمْ فِى النَّهْرِ ، فَسَـارَتْ جَـمِيعًا فِى اتِّجَاهِ التَّيَّـارِ فِيمَا عَدَا قَلَـمُ زَكَرِيَّا الذى سَلَكَ طَرِيقًا ضِدَّ التيَّارِ.

صَاحَ العُلَمَاءُ مُعْتَرِضِينَ ، وَطَالَبُوا بإجْرَاءِ القُرْعَةِ مَرَّةً ثَالِثَةً حَتَّى تَطْمَئِنَّ قُلُوبُهُمْ ، وَقَالُوا :

نُلْقِى أقْلامَنَا فِى النَّهْـرِ ، فَمَنْ سَـارَ قَلَمُـهُ مَعَ اتِّجَاهِ التَّـيَّـارِ فَـازَ بِالْقُرْعَةِ ، وَتكَفَّلَ مَرْيَمَ.

قَذَفَ العُلَمَاءُ بِأقْلامِهِمْ ، فَإذَا بِهَا تَسِيـرُ عَكْسَ التَّيَّارِ فِيمَا عَدَا قَلَمُ زَكَرِيَّا الذى شَقَّ طَرِيقهُ مُنْطَلِقًا مَعَ التَّيَّارِ.

وَأدْرَكَ القَـوْمُ أنَّـهَا مَـشِـيـئَـةُ اللهِ ، وَأنـهُ تعَـالَى أرَادَ أنْ يَتَكَفَّلَ زَكَرِيَّـا بِرِعَايَةِ مَرْيَمَ وَتَرْبِيَتِهَا ، لأنهُ نَبِىٌّ أُوتِىَ الْعِلْمَ وَالحِكْمَةَ.

هَيَّأ زَكَرِيَّا - عليه السلامُ - لِمَرْيَمَ مَكَانًا بالمَسْجِدِ تَتَعَبَّدُ فِيهِ بَعِيدًا عَنْ أَعْيُنِ الناسِ ، وَمَنَعَ أَحَدًا مِنَ الدُّخُولِ عَلَيْهَا حَتَّى لاَ يَشْغَلَهَا عَنِ العِبَادَةِ .

عَكَفَ النَّبِيُّ عَلَى خِدْمَةِ ابْنَةِ عِمْرَانَ وتَرْبِيَتِهَا حَتَّى امْتَلأَ قَلْبُهَا بِنُورِ الإِيمَانِ ، واطْمَأَنَّتْ نَفْسُهَا ، فَصَارَتْ تَقْضِى النَّهَارَ صَائِمَةً ، وَتَقُومُ اللَّيْلَ مُصَلِّيَةً .

وذَاتَ يومٍ ، دَخَلَ زَكَرِيَّا عَلَى مَرْيَمَ فِى مِحْرَابِهَا ، فَوَجَدَ عِنْدَهَا طَعَامًا لَمْ تُقَدِّمْهُ يَدَاهُ ، وَرَأَى فَاكِهَةً فِى غَيْرِ أوانِهَا ، فَاشْتَدَّ عَجَبُهُ وَهَمَسَ لِنَفْسِهِ : سُبْحَانَ اللهِ .

وَمَرَّتِ الأَيَّامُ ، وَكُلَّمَا دَخَلَ زَكَرِيَّا عَلَى مَرْيَمَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا مُتَنَوِّعًا ، فَفِى الصَّيْفِ يَجِدُ فَاكِهَةَ الشِّتَاءِ ، وَفِى الشِّتَاءِ يَجِدُ فَاكِهَةَ الصَّيْفِ ، وأخيراً سَأَلَ زَكَرِيَّا عليه السلامُ مَرْيَمَ :

﴿ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران : الآية ٣٧]

أَدْرَكَ زَكَرِيَّا أنَّ ابْنَةَ عِمْرَانَ بَلَغَتْ مَنْزِلَةً عَظِيمَةً عِنْدَ اللهِ ، فَصَارَ يُطْعِمُهَا مِنْ ثِمَارِ الجَنَّةِ .

وَأَثَارَ ذَلِكَ المشْهَدُ شُجُونَهُ ، فَالْتَجَأَ إِلَى رَبِّهِ وَدَعَاهُ :

يَا مَنْ تَرْزُقُ مَرِيَمَ فَاكِهَةً فِي غَيْرِ أَوَانِهَا ، هَبْ لِي وَلَدًا فِي حَيَاتِي يَعْبُدُكَ ، وَيَحْمِلِ الرِّسَالَةَ مِنْ بَعْدِي فَيَهْدِي الحَائِرِينَ ، وَيُرْشِدُ الضَّالِّينَ .

﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾

[آل عمران : الآية ٣٨]

وَاسْتَجَابَ اللهُ تَعَالَى دُعَاءَ زَكَرِيَّا ـ عَلَيْهِ السلامُ ـ فَأَوْحَى إليه بـ :

﴿ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾

[مريم : الآية ٧]

أَشْرَقَ وَجْهُ زَكَرِيَّا مِنَ الفَرَحِ ، وَخَرَّ سَاجِدًا للهِ ، لَكِنَّهُ أَطْرَقَ فِي

حُـزْنٍ حينَ أَحَسَّ بِالضَّـعْفِ والْوَهَنِ ، فَـقَـدْ كَـبِـرَتْ سِنُّـهُ ، وَوَهَنَ عَظْمُهُ، وَاشْتَدَّ بَيَاضُ شَعْرِهِ ، وَزَوْجَتُهُ عَاقِرٌ لاَ تُنْجِبُ.

تَوَجَّهَ النَّبِيُّ إِلَى رَبِّهِ مُتَسَائِلاً :

﴿ **أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا** ﴾ [مريم : الآية ٨]

أَخْبَرَ اللّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ أَنَّ ذَلِكَ شَيْءٌ هَيِّنٌ يَسِيرٌ ، فَإِنَّهُ تَعَالَى حِينَ يُرِيدُ شَيْئًا ، فَإِنهُ يَقُولُ لَهُ : كُنْ فَيَكُونُ.

أَوْحَى اللّهُ إِلَى زَكَـرِيَّا : ﴿ **كَـذَلِكَ قَـالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَـدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا** ﴾ [مريم : الآية ٩]

وَأَرَادَ زَكَرِيَّا أَنْ يَعْرِفَ وَقْتَ حُدُوثِ الْحَمْلِ حَتَّى يَطْمَئِنَّ قَلْبُهُ ، فَقَالَ لِرَبِّهِ : ﴿ **اجْعَل لِّى آيَةً** ﴾ [آل عمران : الآية ٤١]

وَعَلامَةً تَدُلُّنِى عَلَى وُقُوعِ الْحَمْلِ.

أَوْحَى اللّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ : ﴿ **قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ**

رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ ﴾

[آل عمران: الآية ٤١]

وَحِينَ وَقَعَ الحَمْلُ توقَّفَ لِسَانُ زكريَّا وَعَجزَ عَنِ النُّطْقِ ، فَخرَجَ إِلَى قَوْمِهِ فَرِحًا ، وَأَشَارَ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا رَبَّكُمْ لَيْلاً وَنهَارًا ، وَخَرَّ النبِيُّ سَاجِدًا للهِ ، وَاسْتَغْرقَ فِي التَّسْبِيحِ بقَلبهِ حَتَّى انْقَضَتِ الأيامُ الثلاثَةُ.

وَضَعَتْ زَوْجَةُ نَبِيِّ اللهِ زَكَرِيَّا وَلِيدَهَا يَحْيَى بَعْدَ عُمْرٍ طَوِيلٍ وَلَهْفَةٍ وَشَوْقٍ ، وَتَحَقَّقَتْ أُمْنِيَّةُ زَوْجِهَا ، فَوَهَبهُ اللهُ وَلدًا تَقِيًا يَرِثُهُ مِنْ بَعْدِهِ ، وَيَخْلُفُهُ فِي دَعْوَةِ قَوْمِهِ.

اخْتَصَّ اللهُ تَعَالَى يَحْيَى بِالتَّكْرِيمِ ، فَاخْتَارَ لَهُ اسْمًا لَمْ يُطْلَقْ عَلَى أَحَدٍ قَبْلَهُ ، وعَلَّمَهُ الْكِتَابَ والْحِكْمَةَ فِي سِنٍّ صَغِيرَةٍ ، وَشَمِلَهُ بِرِعَايَتِهِ وَحِفْظِهِ مِنْ مَكْرِ الشَّيْطَانِ ، وَوَهَبَهُ حُسْنَ الخُلُقِ وَالْعِفَّةَ وَالطَّهَارَةِ ، فَلَمْ يَرْتَكِبْ فَاحِشَةً قَط ، وَلَمْ يَقَعْ فِي مَعْصِيَةٍ.

وَمَنَحَهُ السَّلاَمَ وَالأَمَانَ فِي يَوْمِ وِلاَدَتِهِ ، وَحِينَ وَفَاتِهِ ، وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ **وَسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا** ﴾ [مريم: الآية ١٥]

نَشَأَ يَحْيَى - عَلَيْهِ السَّلاَمُ - بَارًّا بِوَالِدَيْهِ مُطِيعًا لَهُمَا ، رَفِيقًا بِقَوْمِهِ ، لاَ يَتَوَانَى عَنْ مُسَاعَدَةِ مُحْتَاجٍ أَوْ نُصْرَةِ مَظْلُومٍ ، وَرَفَضَ مُتْعَةَ الدُّنْيَا فَعَاشَ زَاهِدًا يَأْكُلُ مِنْ وَرَقِ الأَشْجَارِ إِذَا اشْتَدَّ بِهِ الجُوعُ ، وَيَلْبَسُ جِلْدَ الإِبِلِ إِذَا اشْتَدَّ البَرْدُ ، وَكَانَ يَظُنُّ نَفْسَهُ أَنْعَمَ أَهْلِ الأَرْضِ ، فَيَقُولُ لِنَفْسِهِ : مَا أَنْعَمَ مِنْكَ يَا يَحْيَى !

وَكَانَ يُحِبُّ الاخْتِلاَءَ بِنَفْسِهِ وَالاسْتِغْرَاقَ فِي العِبَادَةِ وَالتَّسْبِيحِ حَتَّى تَنْهَمِرَ الدُّمُوعُ مِنْ عَيْنَيْهِ رَهْبَةً وَخَشْيَةً مِنَ اللهِ .

* * *

آتَى اللهُ تَعَالَى يَحْيَى - عليه السلامُ - النُّبُوَّةَ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ التَّوْرَاةَ بِقُوَّةٍ ، وَيُعَلِّمَهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ .

عَكَفَ النَّبِيُّ عَلى وَعْظِ قَوْمِه وَهِدَايَتِهِمْ وَحَثِّهِمْ عَلى التَّقَرُّبِ مِنَ اللهِ بِحُسْنِ الأَخْلاَقِ وَفِعْلِ الخَيْرَاتِ وَتَرْكِ المُنكَرات.

جَمَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَوْمًا فِي بَيْتِ المَقْدِسِ، وبَدأَ بِحَمْدِ اللهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُم قَالَ:

إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ، وآمُرَكُم أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ، وَأَوَّلُهُنَّ أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ لاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ مَثَلُ مَنِ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِوَرِقٍ أَوْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي غَلَّتَهُ إِلَى غَيرِ سَيِّدِهِ، فَأَيُّكُمْ يَسُرُّهُ أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذلِكَ، وَإِنَّ اللهَ خَلقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ فَاعْبُدُوه وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا. وَآمُرُكُمْ بِالصَّلاَةِ، فَإِنَّ اللهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ قِبَلَ عَبْدِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلاَ تَلْتَفِتُوا.

وَآمُرُكُمْ بِالصِّيَامِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ مَعَهُ صُرَّةٌ مِنْ مِسْكٍ فِي عِصَابَةٍ، كُلُّهُمْ يَجِدُ رِيحَ المِسْكِ، وَإِنَّ خَلُوفَ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ.

وَآمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسَرَهُ الْعَدُوُّ ، فَشَدُّوا يَدَهُ إِلَى عُنُقِهِ ، وَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ ، فَقَالَ :

هَلْ لَكُمْ أَنْ أَفْتَدِيَ نَفْسِي ؟

فَجَعَلَ يَفْتَدِي نَفْسَهُ مِنْهُمْ بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ ، حَتَّى فَكَّ نَفْسَهُ .

وَآمُرُكُمْ بِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ كَثِيرًا ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ طَلَبَهُ الْعَدُوُّ سِرَاعًا فِي إِثْرِهِ فَأَتَى حِصْنًا حَصِينًا فَتَحَصَّنَ فِيهِ ، وَإِنَّ الْعَبْدَ أَحْصَنُ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِذَا كَانَ فِي ذِكْرِ اللهِ .

* * *

أَحَبَّ أَحَدُ الْمُلُوكِ فِي زَمَنِ يَحْيَى عليه السلامُ ابْنَةَ أَخِيهِ ، وَقَرَّرَ أَنْ يَتَزوجَهَا ، وَهِيَ لاَ تَحِلُّ لَهُ .

وَوَصَلَ الخَبَرُ إِلَى نَبِيِّ اللهِ يَحْيَى ، فَاشْتَدَّ غَضَبُهُ ، وَأَعْلَنَ رَفْضَهُ لِذَلِكَ الزَّوَاجِ المحَرَّمِ ، وَقَالَ :

هَذَا الزَّوَاجُ بَاطِل ، وَلاَ تَعْتَرِفُ بِهِ شَرِيعَةُ التَّوْرَاةِ ، وَانْتَشَرَ رَأْيُ النبيِّ ، وَذَاعَ فِي أَنْحَاءِ البِلاَدِ حَتَّى وَصَلَ إِلَى سَمْعِ أُمِّ الفَتَاة ، وَخَشِيَتْ أَنْ يَنْصَرِفَ الملكُ عَنِ ابْنَتِهَا ، فَدَبَّرَتْ مَكِيدَةً لِيَحْيَى وحَرَّضَتِ ابْنَتَهَا عَلَى تَنْفِيذِ خُطَّتِهَا اللَّعِينَة .

تَزَيَّنَت الفَتَاةُ ، وَأَسْرَعتْ إِلَى الملكِ ، وَتَوَسَّلَتْ إِلَيْهِ أَنْ يَنْتَقِمَ مِنْ يَحْيَى ، لأنهُ رَفَضَ زَوَاجَهُمَا ، وَأَشَاعَ بَيْنَ النَاسِ أَنَّ ذَلِكَ الزَّوَاجَ بَاطِلٌ .

رَضَخَ الملكُ لِرَغْبَةِ حَبِيبَتِه ، وَاقْتَحَمَ جُنُودُهُ مِحْرَابَ نَبِيِّ اللهِ يَحْيَى ، فَوَجَدُوهُ قَائِمًا يُصَلِّي فِي خُشُوعٍ ، وَالنُّورُ يَسْطَعُ مِنْ وَجْهِهِ النَّضِير .

أَغْمَدَ الجُنُودُ سُيُوفَهُمْ فِي جَسَدِ النبيِّ الذَّكِيِّ الطَّاهِرِ فَسَقَطَ شَهِيدًا فِي مِحْرَابِه .

انْتَقَمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ الكَرِيمِ ، فَصَبَّ عَلَى المجْرِمِينَ غَضَبَهُ وَلَعْنَتَهُ ، وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ المصير .

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ وَلَدِ آدمَ إلا وَقَدْ أَخْطَأَ ، أَوْ همَّ بِخَطِيئةٍ لَيْسَ يَحْيى بْنَ زَكَرِيَّا ، وَمَا يَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ : أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى » صَدَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ .

●●●